# باب التربية والتعليم

## ﴿ المكتوب الثالث — من «إميل» الى أمه (*) ﴾

افضاؤه اليها بحبه لفتنة من الممثلات — كيف تعلق قلبه بها — استعلامه سيرتها — تمنيه انقاذها مما هي فيه — طلبه المغفرة من أمه بعد اعترافه لها بالحب.

تحريراً في ١٢ مايو سنة ١٨٦

اني منذ عرفت نفسي ابثك جميع ما يسوءني وما يسرني وما أكره وما أحب وأكاشفك بالخير والشر ولا أكتم عنك شيئاً حتى اني لما كنت بحضرتك ما كنت في حاجة الى البيان لانك كنت تطالعين أفكاري في عينيّ وتبصرينها تجول على جبيني وهذه أول مرة لي في حياتي أسررت فيها سرا ... وليت شعري أأبوح به الي قصب نهر الرين ؟ إذا لتضاحك مني كما تضاحك من اذني الملك ميداس (١) أم أبثه الى القمر ؟ كلا فقد سمع كثيرا من أمثاله أم أكنه في قلبي ؟ اذاً لا أنبئني عليه سريرتي . ما أنا بفاعل شيئاً من ذلك بل أريد أن أودعه صدر أمي

على ان الإفضاء به ليس من السهولة بالمقدار الذي كنت أتوهمه فاني ما أنشأت أخط هذه السطور الاولى من مكتوبي حتى ارتعشت يدي وخفق قلبي ولست إخالك الا ساخرة مني ولكن أقل ما أنا واثق به منك انك لن تجدي عليّ أن صدقتك الخبر واذا كان الامر كذلك فلابد من افشائه وهو اني أحب !

الآن أراك تسأليني من هي التي تحبها وأين رأيتها وكيف عرفتها وفي هذه

---

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

(١) ميداس بحسب ما جاء في أساطير اليونان هو ملك فريجيا وهي قطر من أقطار آسيا الصغرى اشتهر بواقعتين نذكر إحداهما فقط لاختصاصها بهذا الموضوع وهي ان ابولون بن المشتري حكمه في المناظرة التي قامت بينه وبين بان إله الرعاة في الموسيقى والشعر والفنون وكان بان صديقاً للملك فحكم له فلم يكتف ابولون في الانتقام من ميداس بسلخ جلده حيا بل جعل له بدلا من أذنيه أذني حمار فغطاهما ميداس بتاج حتى لا يظهرا للناس ولما علم ان حلاقه لابد له من رؤيتهما عاهده على كتمان أمرهما ولكن الحلاق لم يلبث أن ثقل عليه الكتمان فاحتفر حفرة في الارض عمزل عن الناس وأسر فيها قوله ان للملك ميداس اذني حمار فاتفق بعد حين أن نبتت في هذا المكان قصبات كانت كلما هزتها الريح كررت هذا القول

الاسئلة ما يزيدني حيرة وارتباكاً

في مدينة بُن ملعب من الطبقة الثانية غير انه مشهور بحسن اختيار القصص التمثيلية فما يمثل فيه قصة مريم استوارت (١) وقصص شيلار (٢) وقصة غويت عن فوست ومرغريته (٣) وغيرها من القصص الشهيرة وللموسيقى والاغاني الموقعة عليه في هذا الملعب يومان أوثلاثة تحل فيها محل الأدبيات والوقائع التمثيلية وأنا أذهب اليه في بعض الاحيان لسببين أولهما ترويح نفسي من عناء الدرس وثانيهما إيلافها أصوات اللغة الالمانية فمن نحو شهر ابتدأت قينة باقيرية (٤) فتية تغني على الموسيقى هناك وكان أول ما غنته قصة النبي من توقيع ماير بير فبلغت من الاجادة في تغنيتها الى حد أن جميع طلبة الجامعة كانوا يلهجون بذكرها كأنها آية من الآيات فجريت معهم في مساق الاعجاب بها ولما انطلقت الى الملعب ورأيتها داخلة في باحة التمثيل كان كلي عيوناً تبصر وآذاناً تسمع وليس صوتها هو الذي اشتد اعجابي به مع كونه من أندى الاصوات وأندرها بل الذي ملأني اعجاباً هو مافي تغنيتها من الروح بل مافي خلقها من الحسن والاتقان فبت ليلي كله أحلم بها ولا يفارقني طيفها وكنت أراها بين الافلاك السماوية وأسمع أنغام الكواكب الموسيقية فكأن فيثاغورس (٥) كان يحب قينة مثلي عند ما كان يحدث تلاميذه عن حسن ألحان النجوم

وخوفي من انقضاء اعجابي بها فيما يلي من التمثيل عاهدت نفسي على أن لا أختلف الى الملعب ليالي تغنيتها ولكني ما استطعت أن أوفي بعهدي وقد انتفى

(١) مريم استوارت هي بنت يعقوب الخامس ملك ايقوسيا ومريم لورين ولدت سنة ١٥٤٢ م ومات سنة ١٥٨٧ تزوجت بولي عهد فرنسا (من اول حكم فرنسيس الثاني) وبعد موت زوجها رجعت الى ايقوسيا وتزوجت بهنري درنلي ثم بالكونت بوتويل ثم ثار عليها رعاياها فلاذت باليصابات ملكة انكلترا التي حبستها ١٩ سنة ثم أمرت باعدامها (٢) شيلار شاعر ألماني شهير ولد سنة ١٧٥٩ م ومات سنة ١٨٠٥ ومن أشهر قصصه المحزنة النهبة ووالانشتين وغليوم تل (٣) غويت واسمه جان ولف جانج هو أكبر كاتب ألماني ولد في فرنك فورت سير اين سنة ١٧٤٩ م ومات سنة ١٨٣٢ وفوست اسم لشخص خرافي مشهور في حكايات الالمان بأنه تعاهد مع الشيطان (٤) نسبة الى بافير احدى ولايات المانيا (٥) فيثاغورس فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٦٩ ق م ومات سنة ٤٧٠ أقام بمصر وبابليون مدة طويلة ثم رجع إلى بلاد اليونان وأسس مدرسة في كروتون وهو أول من قال بالتناسخ وعرف نظام العالم الحقيقي

عني كثيراً خوف اقلالي من التحمس في حبها بما أكتشفته فيها على توالي الايام من الخصائص الجمة التي لم أكن لاحظتها من قبل ولا بد من الاعتراف لك بأني كنت أجلس من الصف المواجه لباحة التمثيل بحيث أكون مرئياً لها وقد حسب لحظي مرة أو مرتين انه لاقى لحظها ... ولكن ربما كان هذا ضلالا ومع ان التمثيل كان يمكث أكثر من أربع ساعات كنت دائماً أجده في غاية القصر وأغادر مقعدي في ختامه وقلبي مفعم بمالا يوصف من الاضطراب

خطر في ذهني ان أخاطبها بأبيات من الشعر أنظمها وأرسلها اليها غير ممضاة مني على يد بواب الملعب الهرم ففعلت وكنت أقول في نفسي وقت نظمها ان أقل فائدة لي منها ان تعلم ان واحداً من الناس يحبها ولكنها كانت أبياتاً رديئة وأقر بأنها ما كانت تؤدي نصف ما كنت أضمره لها من عواطف الميل وهذا ما دعاني الى عدم الاعتقاد بصحة ما قيل من أن الشعر من لوازم الحب كما قرأته ذات مرة في بعض الكتب وليس في قدرة أحد ممن عدا المصطفين من الخلق أن يعبر عن كل ما يجده في نفسه ويا ليتني كنت واحداً من هؤلاء النوابغ الممتازين

كنت من مساعيّ في القرب من هذه الفتاة واقفاً عند الحد الذي ينتهك فبينما أنا في يوم من أيام الآحاد أجوب المتنزه الذي تجتمع فيه نساء المدينة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر اذا بها أقبلت آخذة نحوي في مخرف فخطر ببالي أولا ان انتكب هذا المخرف لسلوك احدى السبل المقاطعة له لانه كان يخيل لي ان سأصفق مما قام بنفسي من ضروب الانفعال والاضطراب غير اني تثبت ومشيت مشية الجندي الباسل الذاهب الى حومة الوغى فرأيتها في بزة بالغة من الرونق غايته على بساطتها . وارباه ! كم وددت لو كنت في تلك الساعة قفازها أو زهرة قلنسوتها أو مظلتها التي تقيها حر الشمس ؟ أقول ذلك واني لاعلم انه كان مني قبيحاً ولكن لا ينبغي أن أكتم عنك شيئاً من مواضع ضعفي

ان في اللحظ خاصة الجذب فاني كنت آنس من لحظي اذا رنوت اليها ان كله اقرار وتصريح بالحب ولما مر كل منا حذاء صاحبه جرى على وجهي لألاء حسنها كما يجري لمعان البرق ولم أجسر على الالتفات خلفي الا بعد ان جاوزتها

بثلاثين خطوة فرأيتها قد بعدت عني مهرولة غير اني بصرت في المسافة التي بيني وبينها بشيء أبيض يخفق خفوق جناح الحمامة من صفق الريح اياه فاتريثت في التقاطه فاذا هو منديلها قد سقط منها ... أو تعمدت اسقاطه فعدوت خلفها ودفعته اليها فأظهرت الدهش من ضياعه وتلطفت في اسدائي الشكر على رده وراقني ان سمعتها تحسن التكلم بالفرنسية فلاح في ذهني أن أعرفها اني صاحب الشعر الذي أرسل اليها ولكني كنت من شدة الاضطراب الذي استولى على نفسي بحيث لم أستطع تحريك شفتي بكلمة ما ولا بد أن تكون حسبتني ابله

يزعم العارفون بتركيب الحيوان ومنافع أعضائه ان الذاكرة لا تحفظ الروائح وعذرهم في ذلك انهم لم يحبوا في حياتهم فان منديلها وهو قطعة من النسيج البانسي (١) الرقيق كان يتضوع عن عطر لطيف لن أنساه مادمت حيا . وفي اليوم التالي لهذا اللقاء انطلقت الى ماحول المدينة من الربى الزاهرة فجنيت باقة من ألطف ما وجدته من الزهور البرية وأدلها على العفاف ولما حان وقت التمثيل خبأتها في قلنسوتي المدرسية وأخذت مجلسي في الملعب فغنت كعادتها بصوت يسمو بسامعيه الى السحاب ولكن كان يخيل الي ان هذه المرأة التي لاقيتها في الطريق أمس ذلك اليوم أكمل من قينة وان كان استعدادها للتغنية مثاراً للاعجاب وبعدان انتهت من غنائها وانصرفت استعادها جميع السامعين فبطلت حولها باقات الزهر من غرف الملعب والكراسي المقابلة لباحته وآن لي أن ألقي اليها باقتي فاهتممت غاية الاهتمام بأن تبصرني عند إلقائها مع تظاهري بالاختفاء خلف جيراني وما أدراك ما فعلته حينئذ؟ لقد أهملت كل ما ألقاه غيري من الازهار النادرة مثل زهر الكاملية (٢) وزهر التين الهندي والورد ذي الأسنة وعمدت الى باقتي الحقيرة المؤلفة من أزهار برية فتناولتها وضمتها الى قلبها أفلا ترين في ذلك برهانا على حبها لي ؟

ستقولين لي أنت لا تعرفها وقد تكون مخالفة تمام المخالفة لما تخيلته منها وانه كان ينبغي لك قبل أن تعلل نفسك بالاماني والاوهام أن تكون على بينة من أخلاقها وكيفية معيشتها فأجيبك أن هذا أيضاً لم يفتني وأقر بأني لم أقف من

(١) الباتسي نسبة الى باتست وهو أول صانع لهذا النسيج (٢) الكاملية زهرة يابانية جلبها الى أوربا مرسل ديني اسمه كاملي فنسبت اليه

تجري سيرتها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من الغموض ولم يجتمع لدي في هذا الصدد الا أقوال في غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولاسيما الممثلات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع مالهن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام ولست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هنات الشباب ما يغير دمي ويثير غضبي وبعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حي منعزل عن المدينة وقد رأيتي الطلبة هذه الام نصحبها ليلا عند خروجها من الملعب فلم أجد بينهما مشابهة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قد ذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المدرة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب لفتاة مخلصة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على اننا اذا سلمنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرونها من الناس ؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها في حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلا كريماً . واراه أي فخر أناله لو أبيح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الملكية فأنتاشها من درك الانحطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أنا ذا قد كشفت لك مكنون سري وبحوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي . اه

## باب الاجتهاد للامام

### تأبين الاستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواص الناس من العلماء والادباء والوجهاء من المسلمين وغيرهم عند قبر الاستاذ الامام حكيم الشرق